تفسير ابن كثير

يخبر تعالى عما يثيب به المصدقين والمصدقات بأموالهم على أهل الحاجة والفقر والمسكنة { وأقرضوا الله قرضا حسنا } أي دفعوه بنية خالصة ابتغاء مرضاة الله لا يريدون جزاء ممن أعطوه ولا شكورا ولهذا قال : { يضاعف لهم } أي يقابل لهم الحسنة بعشر أمثالها ويزاد على ذلك إلى سبعمائة ضعف وفوق ذلك { ولهم أجر كريم } أي ثواب جزيل حسن ومرجع صالح ومآب كريم وقوله تعالى : { والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون } هذا تمام لجملة وصف المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون قال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى : { والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون } هذه مفصولة { والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم } وقال أبو الضحى { أولئك هم الصديقون } ثم استأنف الكلام فقال : { والشهداء عند ربهم } وهكذا قال مسروق والضحاك ومقاتل بن حيان وغيرهم .

وقال الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى { أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم } قال : هم ثلاثة أصناف : يعني المصدقين والصديقين والشهداء كما قال تعالى : { ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين } ففرق بين الصديقين والشهداء فدل على أنهما صنفان ولا شك أن الصديق أعلى مقاما من الشهيد كما رواه الإمام مالك بن أنس C في كتابه الموطأ عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال : [إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل مابينهم] قال : يارسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال [بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين] اتفق البخاري ومسلم على إخراجه من حديث مالك به وقال آخرون : بل المراد من قوله تعالى : { أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم } فأخبر عن المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون وشهداء حكاه ابن جرير عن مجاهد ثم قال ابن جرير : حدثني صالح بن حرب أبو معمر حدثنا إسماعيل بن يحيى حدثنا ابن عجلان عن زيد بن أسلم عن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول : [مؤمنو أمتي شهداء] قال : ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلّم هذه الاية { والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم } هذا حديث غريب وقال أبو إسحاق عن عمرو بن ميمون في قوله تعالى : { والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم } قال : يجيئون يوم القيامة معا كالأصبعين .

وقوله تعالى : { والشهداء عند ربهم } أي في جنات النعيم كما جاء في الصحيحين [إن

أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع عليهم ربك اطلاعة فقال : ماذا تريدون ؟ ! فقالوا : نحب أن تردنا إلى الدار الدنيا فنقاتل فيك فنقتل كما قتلنا أول مرة فقال : إني قد قضيت أنهم إليها لا يرجعون] وقوله تعالى : { لهم أجرهم ونورهم } أي لهم عند ا أجر جزيل ونور عظيم يسعى بين أيديهم وهم في ذلك يتفاوتون بحسب ما كانوا في الدار الدنيا من الأعمال كما قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحاق حدثنا ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن أبي يزيد الخولاني قال : سمعت فضالة بن عبيد يقول : سمعت عمر بن الخطاب يقول : سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول : [الشهداء أربعة رجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو فصدق ا فقتل فذاك الذي ينظر الناس إليه هكذا] ورفع رأسه حتى سقطت قلنسوة رسول ا صلى ا عليه وسلّم وقلنسوة عمر [والثاني مؤمن لقي العدو فكأنما يضرب ظهره بشوك الطلح جاءه سهم غرب فقتله فذاك في الدرجة الثانية والثالث رجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقي العدو فصدق ا حتى قتل فذاك في الدرجة الثالثة والرابع رجل مؤمن أسرف على نفسه إسرافا كثيرا لقي العدو فصدق ا حتى قتل فذاك في الدرجة الرابعة] وهكذا رواه علي بن المديني عن أبي داود الطيالسي عن ابن المبارك عن ابن لهيعة وقال هذا إسناد مصري صالح ورواه الترمذي من حديث ابن لهيعة وقال : حسن غريب وقوله تعالى : { والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم } لما ذكر السعداء ومآلهم عطف بذكر الأشقياء وبين حالهم